

رَجُلًا كَلَامِي

" غزل مصطفی کردی "



رَجُلًا كَأَبِي...

الكاتبة: غزل مصطفى كردي.

الكاتبة والمؤلفة: غزل مصطفى كردي.

كلُّ قصةٍ خطَّطُها في مخيَّلتِي كان بطلُها والدي،
وكلُّ رجلٍ قارنُتهُ بوالدي رجح الميزان، وفاز والدي،
هو الحبيب الأول...
والقايض على القلب حتى يأتي من يشبه والدي لينال هذا القلب.

هذه الدنيا كتاب كبير.

كلُّ صفحةٍ تحمل حكايةً، وكلُّ حكايةٍ فيها سطورٌ من الأسرار الكامنة لا يعلمها إلا أصحابها.
أما صفحتي... فقد توشّحت باسم رجلٍ واحد، وأسندت بكلِّ حبٍّ إلى أبي.

أبي... ذاك الرجل الذي توشح شعره بالشيب لأجل راحتي.

أبي... ذاك الرجل الذي أمالت الدنيا قامته لأجل أن ترتفع قامتي وتستوي.

أبي... ذاك الرجل الذي كنس دربي من العوائق وقال لي: امضي غير هيّابة،

أبي... ذاك الرجل الذي أرفقته أثقال النهار ليعود مع المساء مشرق الملامح،

أبي... ذاك الرجل الذي يوارى مشقته كي لا أثقل أنا،

أبي... ذاك الرجل الذي همس في أذني كلمات التوحيد،

أبي... ذاك الرجل الذي احتوى يداي بكفه مطمئناً قلبي.

أبي... ذاك الرجل الذي يبهج الطفلة التي تسكنني بكلمة هادئة

أبي... ذاك الرجل الذي ألهب أنامله العشرة لأجل أن أنغمر بالنور من كل جهة.

فعل كل سُبُل الحب كي أرتوي أبد الدهر،

فاض عليّ حبّه حتى صار ميزاني،

فلا أقبل إلا من يشبهه قلباً ودفناً.

عندما أقول أبي...

لا أحاول أن أرسم صورة رجلٍ كامل لا يعتريه نقص، ولا أسعى لأن أزيّنه بالمثالية الكاملة التي لا تشبه الأنعام، بل أتحدث عن رجلٍ من لحم ودم، لكن الله جمع في قلبه ما قد يبدو متناقضاً: الصلابة والرحمة في آن واحد.

أمام الرجال... هو صلب الملامح، ثابت الخطى، لا تهزه المواقف ولا تلين عزيمته،

أما أمامي... فيخلع عن كتفيه درع القوة، ويصبح أباً يعرف أن قلب ابنته لا يحتمل فظاظة الدنيا، فيغمره بالحنان حتى يأنس، وبالرحمة حتى يلين.

صوته بين الرجال يعلو مهابةً وحزماً، أما عندما يخاطبني فيكاد يُخَيِّلُ إليّ أن الرفق قد اتخذ من نبرته موطناً، وأن اللين صار موسيقى لا يتقنها إلا معي.

إليك أيها الرجل الذي لا أعرفه بعد:

أستقبل حقيقة لن تتغير: أن أبي هو الحب الأول، والحصن الأول وأول يدٍ نورتنني بأن الأمان شعور يعاش قبل أن يُقال.

منه ارتشفت أولى معاني الحب، وعلى كتفه أيقنت أن الطمأنينة وطن.

فإن أردت أن تقترب من قلبي يوماً، فلا تنافس أبي، بل كن مثله، كن رجلاً يشبهه، كن كما كان أبي: امتداداً لذاك الأمان، لا مجرد رجلٍ عابر في شعوره

فهذا القلب لا ينشد أماناً عابراً، ولا شعوراً يُعاش للحظات ويتلاشى مع الرياح.

ولا يتحرى بالبحث عن رجل يهب شعوره لكل مؤقتة، فلا يستشعر لذة التميز.

لا يستوقفني المباح ولا يأسرني الرخص. سأغدو على مرّ الزمن الأولى والأخيرة،

على عرش الدلال ستبصر أثري. أعامل كطفلة مهما تقدم بيّ العمر ومهما تعاقبت عليّ السنين.

سأكون دائماً في رتبة خاصة ومنفردة كما أنا في حضرة أبي.

تكوّنت في أحضانه وارتشفت الحب والدلال كأنه أمرٌ معتاد

حتى تلون شعوري بشيء من الأنانية؛

لم أعد أرتضي بمن لا يشبه والدي وبمن لا يلائم وجداني.

كيف أقنع نفسي بمن لا يضاهي وجدان أبي ولا سكينته إحساسه؟

أمعن النظر بين أهدابه فألمح كياني قلباً وقلباً

بأي سبيل سأحرق في مقلتي رجل لا أبصر كياني كما ألمح استقراره بين مقلتي والدي؟

متيمة أنا بوالدي، وكل أنثى بأبيها مغرمة. حتى فاطمة الزهراء، عندما استشعرت أنها تفتقر إلى
عضد، لم تتحير بقصد عضدها. أقبلت عليه مرعدة: قومك يزعمون أنك لا تغضب لبناتك.

فانتصب أبو القاسم، حمد الله، ثم ألقى خطبة،

وأردف قائلاً: فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني.

لم يكن هذا الهوى هواي فقط، بل كلنا على نهج فاطمة.

تأتي باكية إلى الحضن الأول، وإلى العضد الثابت؛

كلنا كمثّل فاطمة لن نُقبل إلا للهيبة المنتصبة رغم تقوس الظهر.

جميعنا على نهج عائشة وفاطمة....

هذه عائشة أم المؤمنين، أسرفت في حديثها حتى أوقدت بينها وبين النبي نار الخصام، فستطل الصدّ، والنبي صابر، يشتاقل له وجدانها ولا يكابر. رأى الهجر فما تجرّع على الفراق. فقال: مهلاً أم عبد الله، الصلح خير من خصام وإي. فسألها: لمن ترتضي أن يكون حكماً بينهما حتى يرضى كلاهما حكمه ويلزمانه فأردف بذكر أسماء بعض أصحابه وهي تصر على الرفض. فهمس قائلاً: أبو بكر. فقالت: نعم، أبي لكل معضلة.

أقبل أبو بكر، واستوطنوا كالخصيم وخصمه، فأبدى النبي قوله مبيناً أسباب ذلك الزعل. فنطقت الفتاة قائلة أعرض اللجاج وقل صواباً واتق الخلاق واحذر فإنني أكره الشقاق فدهش الصديق، واصفر لونه، وشعر بالضيق، فقال: يا قليلة اليقين، لمتله يُقال قل صواباً! أيكذب المختار إن أجاب؟ فهم بضرب الصبية، فاتخذت ظهر النبي حمية، فقبض النبي ذراع صاحبه، يلتمس شفاعته ويأمل لين جانبه، ويدع قضية الخصام لأصحابها.

فخرج الصديق من حيث كان قبل ذلك قد ولج. فعاد النبي يستدعيها إلى التآلف،

وأخذت تعرض عن شقاق. فابتسم قائلاً سبحان مقلب الأحوال،

قد كان ظهري حصنك الحصين، والآن أدعوك فتعرضين.

وأخذ يمازحها في الكلام حتى أنته، تائبة طائعة، راضية.

فقال أبو بكر: رأيته يأكل من خبز يدها، كلاهما في غاية السرور والإنس والحبور.

فقلت لهم: ألم أكن دُعيت إلى الخصام، فكيف لا أدعى إلى الطعام؟

فضحك النبي في وجه صاحبه، وقال: أهلاً بسيد القضاة، ومصلح الأزواج والزوجات،

أنت لنا في الحرب والسلام والبدء والختام.

كن لي على نهج محمد، أكن لك على نهج عائشة

كن لي الحصن الحصين، حتى أهرب مني إليك، ومن والدي إليك، ومن عثرات الدهر إليك.

كن أنت السند والعون، من بعد خطا والدي، وامتداداً للنور الذي أحاطني وأنا بين أحضان أبي.

أيا رجلاً لا أعرفك بعد...

أخبرك... ألا تأتي بيتنا إلا من بابي؛ فإن خلف الباب رجلاً، على حُسن سمعتك أحسن ضيافتك.

لن يُكثر عليك الشروط والمتطلبات، ولن يرجوا منك أمر بعيد المنال،

ولن يغزل آمنيات ابنته على عاتيقك، ولن يجهض الأمل فيك.

بل إذا جلست في حضرت أبي.

سينشدُ منك روحاً منصتة، وسيرجو منك أن تكن كمثله لابنته،

سيرجو منك أن تكون أنيساً لدربها ومهجةً لقلبها وقريناً لعرها، أن يبصر فيك الدينَ والخلق.

فبيادرك القول أنرت أهلاً وحللت سهلاً.

سينشد منك ألا يرى منها حتى طيفها، سيطلب منك أن تُقدّر عقيدتها.

سيرجو منك طلباً ليس كغيره: أن تهوى الحرفَ وتفقهه كي تناغم وجدان ابنته.

لن يبتغي منك أن تغدو كاتباً...

ولكن سينشد منك أن تقرأ حروف ابنته، وتستقري ما بين الحرف والآخر من شعور.

سيُفصح إليك بعباراتٍ وجيزة:

اقرأ الشعور قبل أن تقرأ الحروف، وأدرك الفرق بين النقطة والفاصلة، واستوعب النقط الثلاث

من خلال مخارج الحروف وشكل الملامح.

وسينشد عليك مراراً أن تكن كمثله، كمثله تماماً.

قارئ الشعور قبل الحروف والسطور.

في جوف كل أنثى طفلة...

وأنا في جوفي طفلة صغيرة، مهما ظنّ الأنام أنها شَبَّتْ، لكنها لا تزال طفلة ولن تشبَّ أبداً
والصغيرة التي تستوطن وجداني تميل إلى الديار التي تهبها روح العفوية وعدم التقيد والقلق،
كما في كنف والدها وأمام ناظريه؛ تبوح أمانة، تنثر كل هواجس ذهنها البريئة وتسألاتها بنغم
دون فزع أو وجل، متيقنة أن العقاب لن يأتي عقب كلمة تُطقت غير متعمدة أو فعلٍ ساذج
لا تقصد فيه سوى توضيح كلامها.

طفلة في ديار أبي، على الرغم من أنني تجاوزت حدود الرقم الواحد من العمر،
ولكن أبي، مازال يناديني "بصغيرتي".

نضجتُ على الهدوء الرقيق والطمأنينة، فغدوت رقيقة كجرح فراشة بل أرق.
حتى صار في كياني صدٌّ تامٌّ لمن لا يليق بعطفي وحنيتي.

أمست هذه الطفلة...

تنتظر من يواصل مسار أبيها، كأنها تريد النسخة المشابهة لوالدها كي تطمئن على أولادها
في كنف رجل رحيم عليها، وأب كأييها لأولادها.
فعقب كل روحٍ عظيمة وقلبٍ مطمئن، أبٌ حنون وعظيم.

يا رجلاً لا أعرفك بعد...

كن صالحاً كأبي، فأنا لا أريد القرب من رجلٍ في قلبه شيءٌ من الفساد، ولا أرتضي لأولادي رجلاً فاسداً. بل كن رجلاً صالحاً. فإذا انحدر قلبي وانتكس، فليمل إلى قلب رجلٍ يتق الله. وأنا يا من لا أعرفه.

يعجزني إصلاح كيان رجل لم يُصلح قلبه لأجل الله، فكيف يصلحه لأجل قلبي؟
أبتغي منك منذ الوهلة الأولى أن تكن صالحاً كوالدي.

يا رجلاً لا أعرفه، هل هناك أعظم من أن تستقيم وتنتصب لتصلي، فيقف خلفك أشبالٌ صغار يتفقهون على يديك معنى الشهادتين، قولاً وفعلًا.

كن أنت الإمام، ونحن فيك نأتم،

كن أنت القدوة، وعلى نهج محمد قودنا

كن كأبي؛ إذا نهض ليصلي أمرنا بها.

يا رجلاً لا أعرفك.. لست أناانيةً في حروفي،

بل أخشى أن أكون ضحية رجلٍ فاسدٍ لا يعرف معنى التوحيد.

فالجاهل بدينه لا ينفعني، حتى لو سقاني وفير الحب.

فكن أنت ذو خلقٍ ودين، كن أنت قدوة، كن كأبي.

يا رجلاً لا أعرفه...

أبي فعل كل سُبُل الحب ليصون قلبي، فاحتلَّ الرتبة الأولى والنبضة الأولى. لا يسعني أن أقل لك: كن نسخة مستنسخة عنه؛ فكل ذي لبٍّ له بصمته في هذا الوجود، ومحال أن يتشابه اثنان بكامل السمات. لن أدلي لك أن أبي كامل فالكمال لله؛ والذي رجل لديه عثرات لا أنكرها. احتشدت فيه اللين والصلابة، فهو القاسي والحنون.

في حوزته صفتان متعارضتان،

قد تتعجب، ولكنني أضف إليك حقيقة لا أنكرها.

يا رجلاً لا أعرفه...

عندما أقل لك: كن كأبي، فإنني أرمي إلى الخلق الرفيق، والعقيدة الصحيحة، والقائد الحازم، والرجل الحنون. أستشدد منك فرحاً مقروناً بإنجازاتي البسيطة، كما يفعل والدي تماماً.

قد يكن الأمر بسيطاً لا يُرى، ولكن والدي يبصره بقلبه لا بناظريه

أحبه لما فيه من تباهٍ بمواهي وكفاءاتي. يتأمل سطوري كما لو أنها بحرٌ من الإحساس.

أعتز بفخره، وأستشعر المسؤولية أمام هذا الفجر،

وأتابع المسير رغم طول الطريق ووعورته؛

لأنني استبصرت في ناظري أبي شيء من الفخر.

أراه خلفي يصفق لإنجازاتي حتى لا يبلغ مسامعي إلا صوت تصفيقه،

يعجبني فيه الكثير من الخصال. يتربع بين الأنام ويقول: هذه ابنتي.

طالبة العلم، والمعلمة، والكاتبة، ومربية الأجيال.

هذه التي جعلت من الحرف الصامت شعوراً، ودوّنت وجع الناس ليُقرأ.

أفتخر بكونه معلمي الأول، ومرشدي الدائم، وسندي الثابت.

فكن لي كأبي، واستبصر ثمرة جهدي، وخطواتي الغير مكتملة،

على أنها مشروع نجاح للمستقبل..

أخبرك يا رجلاً لا أعرفه...

أن لحظات السعادة ستمضي، ولكن الشعور باقي في الذاكرة.

وإنني أقسم لك بأنني سأبلغ غايتي، سواء وجدت من يساندني أم سرت منفردة.

ولكنني أمل أن أستبصرك إلى جانبي في السراء والضراء

تقف خلف كل إنجاز كأنك ضماد لتعب طال.

يا رجلاً لا أعرفه...

لا أفضل أن أنتصر دون شاهد على تعب أخذ بعضي،

أثق تماماً أن مقامك في حياتي سيكون أسمى المقامات، فعسى المقام بالمقيم يليق.

أنا أبنة أبي، وحببية أبي، ومدللة في عرش أبي.
يا رجلاً لا عرفه، أبوح إليك بعبارة اجعلها مستقرة بين أذنك.
أما كن محباً لها كأبيها، أو دع حبيبة أبيها لأبيها. يا رجلاً لا أعرفه،
أستودعك سرّاً فلا يجاوز شفقتك مسامع أبي.
أنا أنثى أغار على أبي ليس تملكاً بل حباً.
أغار عليه من الشيب الذي يحتضن رأسه أكثر مني.
أغار عليه من الحزن، ومن كل يد تمتد لتثقله.
أغار عليه من أختي الصغيرة وهي في أحضانه.
أغار عليه من من يجاوره في العمل ساعات طويلة وينالهم في حضوره نصيب.
تسكنني الغيرة عليه؛ لأنه أبي، ووجهتي، وحببي الأول.
يا رجلاً لا أعرفه، سأناجي قلبك بما يخفيه والدي عني:
إن قلبه يبادلني الغيرة ولكن بأسلوبه الخاص
يغار على قلبي من أن يستوطنه من لا يليق به
يغار على عيني من أن تبكي حرقاً إلى ما ليس لي.
يغار عليّ بناظريه متأملاً سواد ردائي، وكأنه أروع ما استبصرت عيناه.
يغار على يداي أن يراها رجلاً بغير حق.
أصدقك القول: أن غيرته عليّ خوف. يستبصر العالم من حولي أنني نضجت،
بينما والدي يستبصر في داخلي طفلة لا تكبر مهما كبرت.
قد تتراءى غيرته صد يخالطه شيء من الصرامة والحزم.
ولكن رفضه ومنعه بين بالخوف والحرص على قلب طفله.
غيرته ليست سيطرة بل حب يحرس قلبي
ويحرص أن أبقى آمنة بين من يليقون به.

أخبرك يا رجلاً لا أعرفه

لست بمعتزضة إن كنت كأبي في غيرته، بل أشدَّ حرصاً.
فغيرة أبي خوفٌ محمّلٌ بطيات الحب والحنية.
أما غيرتك فاجعلها حباً يطمئن القلب لا تملكاً يقيده.
يا رجلاً لا أعرفه، سأنشد عليك من شيم العروبة والدين ما هو المثال الأسمى،
علي بن أبي طالب، ذاك الرجل الذي غار من عود الأراك
ناطقاً بقوله...

قد فزت يا عود الأراك بثغرها

أما خفت يا عود الأراك أراك؟

لو كنت أهلاً للقتال قتلتك

ما فازمني يا سواك سواك

أيا رجلاً لا أعرفه، كن كمثّل عبد الرحمن عندما قال:

أيا داعياً بذكر العامرية أنني أغار عليها من فم المتكلم

أغار عليها من ثيابها إذا لبستها فوق جسم منعم

أغار عليها من أبيها وأمها إذا حدثاها بالكلام المغمغم

وأحسد كاساتٍ تقبلنّ ثغرها إذا وضعتها موضع اللثم في الفم

أخبرك يا من لا أعرف عنك حتى الأطياف القليلة
أن الغيرة ليست في الرجال فقط دون ما سواهم بل حتى في النساء تستقر في أطباعهم قبل أن
تتعجب، سأسرد إليك مواقف عن غيرة أم المؤمنين.
كان أبو القاسم همد الجفون في حجرة عائشة، فما لبث أن نهض وغادر حجرته بخطى وثيدة
متجهاً إلى مقبرة البقيع للدعاء لمن غيَّهم التراب. فما التفت حتى أبصر هيئةً متشحة بالسواد،
فسار أبو القاسم على أثر السواد، وكلما أسرع خطاه ازداد السواد اندفاعاً أمامه، حتى بلغ
حجرة عائشة، فدخل عليها، فإذا بها نائمة، ولكن لنفسها ثوران.
فهمس لها برفق: أنتِ السواد الذي رأيت؟ ف قالت نعم يا رسول الله.
فأردف قائلاً: أجاءك شيطانك؟ ثم خصها بدعوة في ليلتها.
يا رجلاً أمل أن تكون كمثلته،
وأنا أنشد منك ألا أكن كغيري، بل الأولى، والأخير، والباقية،
فهذا أبو القاسم تزوج الكثير من النساء، ولكن وجدانه بقي مع عائشة
يا رجلاً لا أعرفه، أخبرك أن الغيرة ليست عيباً، بل شعور يولد من القلب،
ويتأرجح بين الحب والخوف.
لست أستبصر بهذا الشعور قلة ثقة، بل دفاعاً عن ممتلكات القلب.
فإليك، يا رجلاً لا أعرفه، الدفاع عن ممتلكات القلب أمر مفروض.
والاقتراب من جنس النساء أمر مرفوض.
ولن أنطق بعواقب مخالفة السطور؛
لأنها ستترأى لك إن راودتك نفسك عن المخالفة.
يا رجلاً لا أعرفه، لست دون الأنام في هذه الصفات وهذا التملك.
فعائشة غارت من خديجة،
وقد روت أنها ما غارت من امرأة على وجه الأرض سوى خديجة رغم أنها لم تراها قط.
وفي سالف الأيام، أودعت إحدى الصحابييات لرسول الله صحيفة طعام، وهو في حجرة عائشة
وحوله أصحابه. فاستبدت بأمناء الغيرة، ومن شدة غيبتها كسرت الصحيفة.
فانحنى أبو القاسم وجمع قطع الصحيفة بيديه الشريفتين، قائلاً: غارت أمكم غارت أمكم.

عنونت بداية سطوري بجملة...رجلاً كأبي.
أستبشر أن أستشف من يشبه أبي، يحيطني أمل أن أستبصر كحبه، كحرصه، كغيرته.
أخبرك، يا من لا تطولك السطور:

أن والدي، لم يسمعي يوماً ما يختلج في قلبه من حب، ولم ينطق كلمة: "أحبك"،
بل فعل كل سبل الحب. أبصرت بناظريه أبلغ من كلمات الحب، فما باح بالحروف، بل فعل
معانيها. لم يتلفظ بكلمات تُسقى ولا تروي.

والدي لم ينطق كلمة: "اشتقت إليك" بل يستشعر غيابي عن المنزل، فيهمس:
"استوحش الدار بدونك" والدي لم يبح يوماً بتعبه، ولم يتأفف من ثقل الأيام، ولو لمرة. هو دائماً
بخير، حتى وإن لم يكن بخير؛ يسعى أن يطمئن قلوبنا وينسى قلبه للأيام تشفيه.
والدي أفنى عمره وجسده في العمل، وسقى أيامه عرقاً وكدحاً، ليجعل موائدنا عامرة بأطيب ما
أباح الله. كم مرة أثرتني على نفسه، وكم من مرة أشعل أصابعه العشرة لأنني أخاف العتمة
لم يقل "أحبك"، بل فعل معانيها. لم يقل "اشتقت إليك"، بل باحت عيناه
كلما ابتعدت عنه رأيت عيناه تبكي وإن كان مبتسماً.

أبي... علمني كيف أنهض، ومسك يداي في أولى خطواتي.
شيد لي جناحين، وجلس يترقب كيف سأخلق أمام عينيه
أيا رجلاً لا أعرفه... أبي فعل كل السبل كي أكن صالحة قبل أن أكن مدللة.
سعى أن ألبسه تاج الوقار، وأوصاني بالبر والطاعة، وحسن الخلق.
أبي كان السبب الأول، من بعد الله لفطرتي السليمة، وعقيدتي الواضحة.

أيا رجلاً لا تطوله السطور،
لا أستنشد منك أن تكن مثالياً، فالمثالية الكاملة أمرٌ تعجيزي، بل أمل أن تكن رجلاً.
والرجل الذي أريد، يا من لا أعرفه، لا بد أن يكن باراً بوالديه، ساعياً لإرضائهما؛
فمن لا خير فيه لوالديه لا خير فيه لي.
يا من لا أعرفه، الأنثى تفتش عن الحنون على أخته؛ فطناً بطبيعة الأنثى وتقلباتها.
فإن كان لقلبك حبيبة قبلي، فلا أمانع إن كانت أمك أو أختك، بل حتماً سأمانع لو حلّ سواهما
ذلك المقام. يا من لا أعرفه، روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
" من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين " وضم أصبعيه
فكن لأخواتك سنداً، وكفياً، وحنوناً، حتى تقيهم من قسوة الأيام.
ولأن أبو القاسم قال: "خيركم، خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي."
أشهدك يا من لا أعرفه... أن تكن صالحاً لأهلك، وصالحاً لقلبي.
فإن قيل عني مالا أطيق، فكن مدافعاً عني، ولا ضير في العتاب خفية لا علناً أمامهم.
أشهدك أن تحفظ قدرتي ومحبتني أمامهم، وأن تحيطني باحترامك ولطفك بين أهلك؛
فإن معاملتهم لي ستكون انعكاساً لمعاملتك أنت.
فكن رجلاً، كن كأبي.

أخبرك يا من لا اعرفه...

أن الحب صنيغُ الاهتمام. أبوح إليك بسرّ ضاق به صدري،
وأبوح إليك عن رجلٍ لم يبخل يوماً أن يكن مهتماً بأدق التفاصيل.

أسرّ إليك بأمر لم أفهمه حتى كبرت.

حين أمرض، ما كان يؤلمني في جسدي كان يؤلمه في قلبه. أمرض أنا، فيتعذب ذاك الرجل،
وكان العلة أصابت قلبه لا جسدي.

أخبرك يا من لا تطولك السطور.

الحب ليس مجرد إحساس، بل هو كاللحن الحنون على أوتار القلب.

ويا خير المحبين إن كنت كمثّل والدي.

ويا خير المحبين إن كنت كمثّل أبو القاسم حين قال: "إني رزقت حبها."

يا من لا أعرفه، إن الحب ألطف أنواع الرزق.

إن المحبّ لمن يحب مطيع،

وإن المحبّ لمن يحب مُصَدِّق،

وإن المحبّ لمن يحب سند وعون

أتعرف يا من تعجز السطور عن إنصافه، أن أبو القاسم قال ذاكراً لفضائل خديجة:

قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدّقتني إذ كذّبتني الناس، وواستنتني بمالها إذ حرمني

الناس ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء

الحب يا من لا أعرفه...

هو أن تعلم أن لك وجهة آمنة تهوي إليها إن أغلقت الأبواب.

الحب أن تتحول التفاصيل الصغيرة إلى ذكرياتٍ لا تنسى.

الحب لا يُترجم بالكلمات بل بالمواقف.

الحب هو عندما قال أبو القاسم: "لا تؤذوني بعائشة" فكان محباً، وكن الوجهة الآمنة والثابتة.

وكن كمثّل أبي القاسم، عندما أوقف الجيش بأكمله للبحث عن العقد الذي فقدته عائشة.

يا من لا أعرفه، الحب ليس كمالاً، بل تقبل للعيوب، وصبر في أوقات المحن.

الحب هو الذي يعطي للحياة معنى، ويجعل الأيام أكثر دفئاً وإن كانت قاسية.

الحب هو الرغبة الصادقة في البقاء رغم كل التحديات، هو لغة يفهمها القلب ويستصعبها العقل

الحب لا ينتهي مع الزمان، بل يزداد من الشباب حتى المشيب. فكن محباً كمحمد، أكن كعائشة.
يا من لا أعرفه...

خلقت منك لأكون إليك، والنقص لا يكمله إلا أنت. فإن أتيت، فتعال نسقيك كؤوس من الشاي
حاملاً بين كاهليك آخر وصايا النبي.

يا من لا تطوله السطور،

تعال متحدثاً بلغة ليست كلغة العوام، بل لغتي؛ لغة أفهمها وتشبهني..

لست أغزل لك من الكلام ما يقنعك أنني المثالية

بل المختلفة. لست كغيري، ومحال أن أكون كغيري، ولن أريد أن أكون كغيري، ولن تبصر
على مرّ الحياة كمتلي.

يا من لا أعرفه، أريد قلباً كقلبي، وروحاً كروحي. قلباً محباً وعكازاً للكبر، وروحاً تحسن
الأصغاء. أريد قلباً يسير نحو قلبي من غير تكلف، فقط لأن دروبنا متشابهة وميولنا واحد
يا من لا أعرفه...

سعادتي مقرونة بالبساطة، وأنا لا أبحث عن الكمال، بل عن روح تشبه روحي،

وعن رجلٍ يجلس إلى جوارِي ويسألني كل مساء. "حدثيني، ماذا قال لك الكتاب

الذي قرأته اليوم؟" فينصت، وكأن حديثي أجمل الروايات.

أريده أن يشاركني الكتابة، ويقرأ كلماتي قبل أن تكتمل، ويؤمن بأحلامي كما أوّمن بها.

أن يجد في فنجان القهوة أو كوب الشاي، موعداً صغيراً يجمعنا،

وأن يأتي إليّ بوردةً دون مناسبة؛ لأن الود لا يحتاج إلى سبب.

أريده لطيفاً، رقيق القلب، يعرف أن أعظم صور الحب ليست في الكلام الكبير، بل في التفاصيل
التي تشعرني كل يوم أنني مختارة، ومفهومة والمدللة في عرش قلبه.

يا من لا أعرفه...

دُكر في سالف الزمان قصة عن القيس بن الملوح، الذي عُرف في عشقه حتى سُمّي بمجنون ليلي. ولأن العاشق متيّم بالهوى، سار خلف أثرها. وهو يسير مر على جماعة من الناس وهم يصلون، فلم يلتفت إليهم، ولم يرهم من شدة حبه وشوقه لليلى.

وعندما انتهوا من الصلاة، عاد فمرّ بهم مرة أخرى، فقالوا له: "أتمرّ بنا ونحن نصلي، ولا تصلي معنا؟" فتعجب قيس، وقال "أكنتم تصلون حقاً؟" فأكدوا له أنهم كانوا يصلون.

فأردف قائلاً: والله ما رأيتمكم، والله لو كنتم تحبون الله كما أحب ليلي، لما رأيتموني.

أتعرف يا من لا أعرفه... أن هذه السطور تذكرني بعبد الرحمن عندما قال:

بلغوها إذا اتيتم حماها

أنني مت في الغرام فداها

إن روعي تناجيها

وعيني تسير أثر خطاها

لم يشفني سوى أمني

أنني يوماً أراها.

يا من لا أعرفه...

في كتاب الرحمن تتجلى عناية خاصة بمواساة المرأة، فتكررت الآيات التي تُطَيِّب خاطر الأنثى، وتربّت على قلبها، وتخفف عنها أعباء الابتلاءات؛ لأنها سهلة الكسر، وصعبة الجبر.

فربُّ العباد خصَّ الأنثى فقال: {لَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي}

والنبي ألقى بآخر وصاياه: " استوصوا بالنساء خيراً "

ووالدي قال: من لم يكن لابنتي كمثلي، فلا أهلاً ولا مرحباً.

فالمرأة، يا من لا أعرفه، تعزف حزنها إما بالكلام أو بالدموع؛ لأن الدموع ليست فقط ترجمان الحزن، بل هي السبيل الوحيد لتخفيف الألم.

والمرأة لا تبكي بعينها فقط، بل بقلبها.

أتعرف يا من لا تطوله السطور؟

إن النبي كرر التوصية بالأنثى وخاطر الأنثى، فقال: "رفقاً بالقوارير"؛ لأن الأنثى سهلة الكسر كالقارورة، ومستحيلة الجبر كالزجاج.

فأحسن حتى يُحسن الله إليك، وكن رحيماً بقلبي؛ فأنا عند والدي طفلة مدللة، قد أتعب والدي كثيراً، ولكنه أكثر الناس حباً لي، حتى وإن أثقلته بالتعب.

يا من لا أعرفه... أبي يداري قارورته برمش العين، إن لم يسعها القلب.

فكن كمثلي والدي: محسناً، محباً، محترماً، ومنصتاً.

فإن أكثرث عليك من العتاب والكلام المنكد، فكن صبوراً؛ فلا خير برجل لا يصبر على قارورته. وإن كنت سريعة البكاء كمثلي الأطفال، فاحتسب الأجر؛ فهذا طبع القوارير.

يا من لا أعرفه...

كن لي كمثلي والدي، وامتداداً لأمانه.

لا أريد أن أهبك روعي وأنا أخاف منك، ولا أريد أن أسلمك قلبي، وأضعه بين يديك، وأرتجف خوفاً مما تريد فعله بقلبي.

ولا أريد أن أقف متسائلة عن حال قلبي: أترى ما زال ينبض بالحب، أم غيَّبه التراب وأنا بقيت على قيد الحياة؟

ولا أريد أن أغني على أوتار الحياة، كمثلي عبد الرحمن عندما قال:

أعطيته ما سألا حكمته لو عدلا

وهيئة روعي فما أدري به ما فعلا

اسلمته في يدي عيشه أم قتلا؟

يا من لا أعرفه...

ألم تتعجب يوماً لماذا تفتش الأنثى عن رجلٍ كمثّل أبيها؟

ألم تتساءل لماذا يكون والدها بطل كل القصص التي تخطها في مخيلتها؟

ألم تتساءل عن سبب فوز والدها في كل مقارناتها؟

ألم تتساءل عن رغبتها في الحصول على رجلٍ يشبه الرجل الذي حظيت به أمها؟

أما راودتك هذه الأسئلة، التي جوابها أن كل أنثى بأبيها مغرمة، وكل أنثى على أبيها تستند.

يا من لا أعرفك...

لن أكذب عليك، فأنا أفتش عن رجلٍ يشبه اختيار أمي الأول، أبحث عن رجل مثل الرجل الذي أحبته في ريعان العمر، فكان النصيب الجميل، والسند الصادق، ورفيق الدرب، حتى غدا في عينها معنى الرجولة بكل تفاصيلها.

يامن لا أعرفه...

لسنا نخاف الزواج، بل نخاف الاختيارات الخاطئة.

لست أنكر أنني أخاف أن أضع قلبي في المكان الخاطئ، ولا أخشى فكرة أن أشارك مع أحدهم العمر، بل أخشى أن أقضي العمر مع شخص لا يعرف قيمة القلب الذي بين يديه.

أخاف أن يخطئ القلب الاختيار، ويدفع ثمن استعجاله طيلة العمر.

الزواج يا من لا أعرفه، ليس فستاناً أبيض ارتديه لساعات، بل هو حياة تُبنى على المودة والرحمة والاحترام،

كما قال الرحمن:

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً}

يا من لا تطوله السطور،

قال: {لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا} وهو يعلم تماماً أن الزوجة ركنٌ من أركان استقرار نفسية الرجل وحياته.

أنا، يا من لا أعرفه..

لست أخاف الزواج، بل أنتظر... أنتظر خياراً يجتمع فيه العقل والقلب معاً.

أنتظر اختياراً يطمئن له القلب، ويبارك الله لي فيه.

أنتظر شخصاً يكون لي السكن والسكينة، لا سبباً لمعاناتي.

فأنا رُبِّيت على عبارة "أنت رفيقة كنج فراشة، بل أرق.

يا من لا أعرفه...

في حوزتي ذكريات أخشى عليها من نسيان فاجع،
وأخاف أن يراجعها قلبي فيهلك من ندبات المواجه.

فخذ مني يا من لا أعرفه، صور طفولتي، واحذر أن تستطيل النظر.

ففي إحدى الصور ستبصر منزلاً صغيراً جداً، ولكن في زواياه عشت أطناناً من الشعور الدافئ.
ستقلب في الصور، وترى ملامح طفلة مشاكسة، كان أكبر همومها أن تشتري دمية بفستان
وردي. يا من لا أعرفه... ستري صورة تجمعني مع أخي، ذاك الذي كان ينتظر أن أنام حتى
يأكل قطعة الحلوى الخاصة بي. ستبصر في إحدى الصور دمية صغيرة ترافقني، وكأنها ابنتي
الصغيرة وقطعة مني.

وسترى صوراً عشوائية لمنزلٍ صغير في الحجم، كبير بالدفع والحب والأمان. هذا المنزل
رافقني من الطفولة حتى أولى مراحل الشباب. لم يكن عبارة عن حجارة متراسة، بل كان
طفولة يشترك إليها وجداني.

يا من لا أعرفه، إن حنّ القلب، يحنّ إلى عتبات الدار، تلك العتبات التي تستقبلني كل يوم،
كأنها تنتظر خطواتي. أشتاق إلى رائحة الأمان داخل منزلنا، وإلى وجه أبي، وضحكة أمي.
وسأشتاق حتى إلى جلسات الاعتراف مع أخي داخل المطبخ.

يا من لا أعرفه، أركت متأخرة أن السر ليس في الحجرة، بل في مكانتها في قلبي ووجداني.
كل ما في هذا المنزل مختلف، حتى القهوة فيها سرٌ عجيب.

في ذلك المنزل تعالت الضحكات، وعزفنا على أوتار القلب معنى الفرحات.

وفي ذلك المنزل أمسك والدي بيدي الصغيرتين، وهو يراقصني على لحن لطيف، عزفه بنفسه
ليبهج قلبي.

وفي ذلك المنزل أتى والدي حاملاً بين يديه غزل البنات.

يا من لا أعرفه...

على عتبات منزلنا أقف دائماً لأراجع ذكريات الطفولة وعمراً مضى.

يقف قلبي كل يوم يغني على أوتار الشوق:

عالبال يا ضحكة أبي ترقصني وتقلي العبي

عالبال يا أول صبي جبلي غزل البنات

عالبال يا ماما اشتقت تغني لتغفي البنت

يا بيتنا مهما غبت مشتاقة للعتبات.

يا من لا أعرفه...

أمل أن تعيش ابنتي كمثل طفولتي.

أن ترقص بين يديك فرحاً وحباً، وأنت تعزف لها لحناً لا يشبه ألحان الذئاب.

أن تركض إليك بضحكة لا يعرفها القلق. أن تعرف معنى الفرح الذي يولد من أبسط الأشياء.
أريد أن أستبصر ضحكتها وهي نابعة من صميم القلب.

يا من لا أعرفه...

أمل أن تكبر وهي حاملة فطرة سليمة وعقيدة صحيحة،

أن تكبر وهي تؤمن أن العالم لا يزال يتسع الأحلام.

أن تستكشف أن أيام الحاضر ذكريات الغد. وأن تستشف أن رائحة الصباح، ودفء البيت،
وجلسات العائلة التي لا يقطعها انشغال ولا استعجال.

يا من لا أعرفه... أريد أن تعرف قيمة التفاصيل الصغيرة واللحظات اللطيفة.

لأنني تعلمت أن أجمل الذكريات لم تكن تلك التي خُطط لها. بل التي جاءت بكل عفويتها
وتركت أثرها في القلب. أريد أن تعيش طفولة مليئة بالأمان كمثل طفولتي.

أن يكون حضنك وطنها الأول. وصوتك الطمأنينة التي تعود إليها كلما ضاقت بها الدنيا.

أريد أن ترى في عينيك الحب الذي رأيته أنا في عيون والدي.

وأن تشعر أن هناك من يؤمن بها دائماً ويصفق لمحاولاتها ونجاحها.

أن تمسح دموعها قبل أن تسقط.

يا من لا أعرفه...

أمل أن تحفظ من طفولتها ضحكات أكثر من الدموع. وأن تجمع صوراً عشوائية كمثل صوري
وتضعها في حوزتها. لترجعها بعد حين من الزمن. أمل أن تكبر وهي تحمل قلباً نقياً لا يعرف
القسوة. وروحاً خفيفة لا تثقلها هموم الحياة قبل أوانها. أريدها أن تنام بين ذراعيك كل ليلة هادئة
مطمئنة. وهي تحلم بكل ما هو جميل

ثم تستيقظ لتجد أن الحياة ما زالت تمنحها فرصاً جديدة للفرح.

يا من لا أعرفه...

أستبشر منك أن تكون أباً رحيماً لها، محافظاً على قلبها أن تأخذ منك وفير الحب كي لا تبحث
عنه بعيداً عنك، فتُكسر وهي رقيقة كجنح فراشة، بل أرق.

أأمل أن تكن لها كمثال أبي لي. أن تكون رجلاً مع غيرها، وأباً حنوناً معها.

(ولكن إياك أن تنسى طفلتك الأولى)

يا من لا أعرفه...

يا ليتك تعلم كم أتمنى أن أعود طفلةً بين أحضان أبي.

كم أتمنى أن أرتمي بكل براءتي إلى حضنه، وأخبره أن الحياة أقسى من أن أحاربها وحدي
وبقلب أعرج.

كم أتمنى لو يعاد العمر من جديد، حتى أعيش سنوات الطفولة بكل تفاصيلها.

كم أتمنى أن أعود طفلة، وأبكي بحضنه انتقاماً من عمر الشباب.

وبقدر وجعي من عمر الشباب، بقدر ما أحتاج أن أعانقه؛ عناق الطفلة إلى الدليل الواضح في
صحراء جافية.

كم أحتاج أن أعود طفلة...

ليتك تعلم كم أتمنى.

يا من لا أعرفه...

أؤمن بالاختلافات، وأدرك تماماً أن ليس كل الاختلافات تقصيراً،

ولست مجبراً أن تفعل كل ما فعل والدي لتثبت أنك محب،

وأنا لا أريد منك أن تنافس أبي، بل أن تكن كمثله لقلبي.

يا من لا أعرفه،

أبي هو المعيار الأسمى بنظري، ليس لأنه كامل، بل لأنه أول رجل عرفته،

وإن أكثرت عليك بالشروط، فأنا أفتش عما يناسبني، لا عن شخص لا ينقصه شيء.

يا من لا أعرفه...

أريدك كأبي لقلبي، ولكن لا تنسى أن تكن أنت،

وأنا يا من لا تطولك السطور، أحمل ما تعلمته من بيت والدي، لكن لا أسجنك بداخل معايير ومقارنات لن تجلب لنا إلا افتراقاً.

ولست أسعى لأكون ملكة منزل، ثم أتنازل عن مملكتي لأنثى أخرى،

فأنا الباقية يا من لا أعرفه.

كنت أميرةً في منزل كانت ملكته أُمي،

ولكن في منزلك سأكون الملكة، لا الأميرة فقط.

ولا أشعر أن هناك من يتجرأ على احتلال مملكتي، لأنني أضفت ياء الملكية مسبقاً.

أحقاً شبت يا أحلى الشباب
وغطى الثلج رأسك في غيابي؟
وظن الناس أنك صرت كهلاً
بما ضيعت من عمر ببابي
فدعني أحضن الشيبات دعني
أحدثهم عن شيخ الشباب
فحتى لو بلغت القرن عمراً
فعشريني أنت على حسابي

يا من لا أعرفه...

قال تعالى {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِما أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ}

كنت أظن أن القوامة سلطة وتجبر الرجل على المرأة، ولكن أدركت متأخراً أن هذه الآية تاج يوضع على رأس الرجل، لا سوطاً يرفع على المرأة، وإنما الأنثى هي أمانة تلقى على عاتقه، ومسؤولية يُسأل عنها: كيف حماها؟ كيف أنفق؟ كيف احتوى؟ وكيف كان رحيماً بها.

والقوامة، يا من لا أعرفه،

أول ما تظهر عند الأب، لا عند الزوج.

فالأب ليس مجرد سكن البيت، بل هو أول صورة للرجولة تراها ابنته.

قوامته عليها ستجعل منها أنثى لا ترضى إلا بمثله.

قوامته عليها أن يكون ظهراً حين تميل، وأماناً حين تخاف، وحضناً حين تنكسر، وبوصلةً حين تحترق. يا من لا أعرفه...

تربّي الأنثى بالحكمة لا بالقسوة،

تربّي وهي محاطة برجل قوام يعلمها أن الرجل الذي يستحق الثقة هو الذي يصون الضعف ولا يستغله.

تربّي على حفظ كرامتها قبل أن يطلب منها الطاعة.

يا من لا أعرفه...

الزوج يجب أن يتحلى ببعض صفات والد الأنثى،

كمثل أن تكون حنوناً دون ضعف، حازماً دون قسوة، غيوراً دون تمكّك، ناصحاً دون استعلاء، حاضراً وملبياً، ساتراً لعيوبي، وحافظاً لكرامتي، ومطمئن قلبي.

يا من لا أعرفه...

رب العباد لم يتوقف عند ذكر القوامة، بل تابع فقال:

{قَالِ الصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}

وإن هذا الكلام دلالة على أن الأنثى الصالحة هي التي تتق الله فيمن كان مسؤولاً عنها.

هي التي تحفظ نفسها وروحها وأسرار منزلها في غياب القوام.

يا من لا أعرفه...

كن خير القوامين، أكن لك من الصالحات القانتات.

احفظ غيابك قبل حضورك، وأكن لك أنثى ومع دون ما سواك بألف رجل

يا من لا أعرفه...

في المواقف الجدية قد يخطئ الرجل وقد تصيب المرأة، وقد يحدث العكس.

الأمر ليس حرباً بين من يفوز في النقاش ومن يخسر

ولست أرى بفوز المرأة على الرجل في النقاش أمراً يعيب الرجل،

لست أرى بأبي رجلاً خاسراً إن تنازل لوالدتي في نقاش قد ينهي فيه الخلاف ويكسبها.

يا من لا أعرفه...

إن خسرت النقاش قد تكسب خاطر.

وإن فزت النقاش، قد تخسرنى.

ولست أقصد بالخسران الفراق،

بل كم من عائلات مبنية على أجساد موجودة، وقلوب تنازلت وابتعدت.

يا من لا أعرفه...

إن الشورى في العلاقات أمرٌ مطلوب،

وليست دليلاً على أن أحد الطرفين أقل من الآخر لمجرد طلب رأيه، بل هو جوهر النضج
ودليل الاحترام والمودة.

يا من لا أعرفه...

استمع بحبٍّ وإنصات، وخذ بالنصيحة، فلربما استفدت منها.

فالشورى ليست ضعفاً، ولا تعني التنازل عن الشخصية أو الرأي بل هي احترام ومحبة
وحرص على بناء علاقة صحية.

يا من لا أعرفه...

سأسرد عليك قصة في سالف الزمان والأيام...

عندما تم توقيع صلح الحديبية، كان من بنوده ألا يدخل المسلمون مكة في ذلك العام، وأن يعودوا
إليها في العام التالي.

فأمر النبي أصحابه أن ينحروا الهدى ويحلّقوا رؤوسهم للتحلل، فتناقلوا من شدة الحزن والأسف
لعدم دخولهم مكة.

كرر النبي أمره ثلاث مرات، ولم يستجب له أحداً منهم.

فدخل النبي على أم سلمة وهو مهموم، وأخبرها بما رأى من تناقل الصحابة عن أمره، ظناً منهم
أن الأمر يُنسخ أو يتغير.

فقالت أم سلمة: يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك،
وتدعو حالك فيحلقك.

فخرج النبي وفعل ما أشارت به عليه زوجته، دون أن يكلم أحداً منهم.

فلما رأى الصحابة رسول الله يفعل ذلك، قاموا جميعاً، فنحروا هديهم وجعل بعضهم يحلق
لبعض. يا من لا أعرفه،

إذا كان أبو القاسم قد أخذ بمشورة زوجته ونصيحتها، فمن نحن حتى نقول إن الرجل الذي يعمل
بنصيحة امرأة قد فقد رأيه أو شخصيته.

إذا كان أبو القاسم قد استمع إلى مشورة زوجته وأخذ بها،

فمن نحن حتى نرى في التشاور ضعفاً، أو نعهده نقصاً

يا من لا أعرفه...

هذه الدنيا ستسير على كل حال،

سواء رضينا أم لم نرضَ

سواء تشاورنا أم اتخذنا قراراتنا منفردين.

لكن حين نتشاور، ونستمع، ونحترم آراء بعضنا

فإننا لا نضمن أن تسير الحياة كما نريد، لكننا نجعلها أهون، وألين، وأكثر رحمة.

فكن هيناً، حتى يهون الله عليه

وليناً، حتى تلين لك الحياة.

يا من لا أعرفه...

البيت دون البنات ينقصه الكثير من الرحمة، وشيء من الحنية،

فالأنثى هي من تسكب الرحمة والمحبة في دروب أبيها.

يا من لا أعرفه...

يفرح الرجل بقدوم الأنثى؛ لأن الأنثى هي من تكون سبباً في حجب أبيها عن النار.

يا من لا تطوله السطور،

أخي هو من يحمل اسم والدي، ولكنني أنا من سأحبه عن النار.

يا من لا أعرفه...

عندما أنظر إلى والدي، لا أراه رجلاً كبقية الرجال، بل حاشاه أن يكون كغيره في حياتي،

بل هو بطلي، هو Superman

يا من لا أعرفه...

هذا أبي سندي وظهري في الحياة

ذاك الذي عشت الحياة بظله

ورفيق درب في الشدائد كلها

يمض معي والود يصدق عهدنا

هو الكتف الذي لا يميل، والقلب الذي لا يتغير،

هو من أحبني كما أنا

هو من نظر إلى عيوبي على أنها سمات مميزة

هو أول حب وأصدق حب..

لو أمطرت ذهباً من بعد ما ذهباً
لا شيء يعدل في هذا الوجود أبا
ما زال في جبهتي من عطر قبلته
ما زال يطعمني التفاح والعنبا
ما زلت في حجره طفلاً يلاعبي
تزداد بسمته كلما تعباً
لم يحن أبي ما كان يحمله
لكن ليحملني من أجلي انحدبا
وكننت أحجب في نفسي مطالبها
فكان يكشف عما أشتهي الحجا
أغفو وأمنيتي سرُّ ينام معي
أصحو وإذ بأبي ما رمت قد جلبا
كفاه غيم وما غيمٌ ككف أبي
لم أطلب الغيث إلا منهما انسكبا
يا ليتني خاتم في الخنصر...
وكما قد شئت يا أبتى قلبته انقلبا
يا ليتني الأرض تمشي فوقها فأرى
من تحت نعلك أني أبلغ الشهبأ
مهما كتبت به شعراً فإن أبي
في القدر فوق الذي في الشعر قد كتبأ
يا من لديك أب أهملت طاعته
لا تنتظر طاعة إن صرت أبا
فالبر قرض إذا أقرضته لأب
يوفيكه ولد والبرُّ ما ذهبأ
لا تنتظر موته صل في الحياة أباً
لا ينفع الدمع فوق القبر إن سكبا

يا من لا أعرفه...

طيلة حياتي وأنا بين أحضان أبي، لم أتمنّ ولو للحظة أن يكون في مكان والدي رجلٌ آخر.
كرّمني، وأعزّني، ودلّلني، وصبّ عليّ وافر الحب، وجعل مني أنثى لا ترضى بالقليل؛
أنثى كمثلته، ولكن نسخة مصغّره عنه.

يا من لا أعرفه...

الأنثى تفتّش عن رجل يجعلها، منذ أول لحظة، تدرك أنها في المكان الصحيح، وفي المكان
الذي تستحق أن تكون فيه.

يا من لا أعرفه...

والدي أنشأني بين يديه بطريقة عظيمة. كان يثق تماماً، من الوهلة
الأولى التي أدركت فيها الحياة، أنني سأكبر، وسأسرد تفاصيل صفاته بين الأنام، كأنها أجمل
سماتٍ صادفتها.

فكن أنت كمثلته؛ خير من احتوى

وخير من استلم الأمانة من بعده

حتى أبقى طيلة حياتي أسرد عن التفاصيل التي تسكنني.

يا من لا أعرفه...

قرأت جملة في إحدى الكتب تقول:

لن تجدي رجلاً كأبيك.

ولكن أنا أوّمن أن من أخلص النية ودعا بقلب صادق، لن يرده ربُّ العباد مكسور الخاطر،

بل أنا سأطلب وأتدلل بطلباتي، فإن لي ربّاً كريماً، إذا أعطى أدهش.

أدعوه بأن يضع قلبي بين يدي رجل يجيد مداراته، كأنه أحبّ الأمور إليه.

أدعوه أن يجازي قلبي بقلبٍ كمثّل قلب أبي، وربما أفضل وأحنّ من أبي على قلبي، وأحنّ مني على قلبي.

أدعوه أن يجعلني قرّة عين لرجلٍ يراني نساءه الأربع.

أدعوه وأنا متيقنة الإجابة.

يا من لا أعرفه...

أبي لا يراني محور الكون، بل الكون بأكمله.

لست تحفة بعيون أبي، بل المتحف بأكمله.

لست القمر بعيون أبي، بل المجرة بأكملها.

هكذا أبي يرى تفاصيلي الصغيرة مميزات، ويميزني عن كل البشر؛ لأنني أستحق.

يا من لا أعرفه...

هل يا ترى، ستكون كمثله؟

ستراني بالنظرة التي يحملها أبي لي؟

ستكون أبي من بعد أبي؟

يا من لا أعرفه...

هناك عبارة عالقة في ذهني تقول: المرء مع من لا يفهمه سجين

هذه العبارة على قدر قصرها، على قدر عمقها، على قدر خوفي منها.

فأنا لا أفتش عمّن يسجنني ويقص جناحيّ

بل عن شخص يلمس جناحي بلين، يكون لي الداعم الأول والكتف الثابت،

لا عن رجل يغلق القضبان على نجاحاتي وأحلامي وطموحاتي

أتحسّر من فكرة أن أكون سجينة مع من لا يفهمني،

وأخاف أن أكون في كنف رجل لا يحمل النظرة التي أحملها.

أخاف أن أحاط برجل يرى في الاهتمام تكلفاً.

وفي تقديم الوردة تنازلاً

والوقوف تحت المطر إهانة،

وفي نجاحاتي وهواياتي انشغالاً عن حقوقه وإدارة منزله.

أخاف حقاً...

من أن يغلق القضبان على تلك الطفلة التي تسكنني،

ويجعلني امرأة لا تفعل إلا ما يريد، لا ما أريد

أخاف أن أحاط برجل يجعلني ألقى أحلامي بهواية النسيان.

يا من لا أعرفه...

سأنشء عليك بعض صور الحب، وأخبرك عن رجل مسنّ كان يستمع يومياً إلى تسجيل صوتي
لزوجته المتوفاة حذف التسجيل غير متعمد، فلم يقوى على فراق آخر ما تبقى من زوجته، فجعل
أحد عشر مهندساً يعملون لمدة ثلاثة أيام حتى أعادوا له ذاك التسجيل.

وأخبرك عن حب أبو القاسم لعائشة، عندما قالت له:

كيف حبك لي؟

فقال كعقدة الحبل.

فكانت تقول له في كل مرة: كيف العقدة؟

فيرد عليها على حالها.

يا من لا أعرفه...

الحب ليس مجرد كلمات،

بل هو فعل كل السبل للحفاظ على خاطر من تحب.

هو عطاء لا نهاية له، وتقدير الأمور البسيطة التي تجمع المحبين.

يا من لا أعرفه،

الحب رزق،

وخير الناس من يعرف كيف يحافظ على هذا الرزق.

يا من لا أعرفه...

هل سأقف يوماً لأقول لا عز كعز أبي ولا دلال كدلال أبي؟

أم ستأتي لتثبت العكس، لتثبت لي أنك مثله في الدلال والحنية، ملتزماً، تقياً، نقياً، قارئاً محباً.

هل ستجعلني أتحسر على موافقتي للزواج منك؟

يا من لا أعرفه...

مسألة الزواج مخيفة بالنسبة لي.

لست أراها وضع خاتم باليد بل وضع دين كامل في يدي الشريك.

يا من لا أعرفه...

الزواج إما جبر للرضوض وإصلاح أعوجاج الروح بالقرب من الله.

أما كسر ما تبقى من الروح بالبعد عن الله والاشغال بفتن الحياة.

يا من لا أعرفه...

كن صالحاً وأصلحني... وأجبر رضوض قلبي بالقرب من الله لا بالبعد عنه.

يا من لا أعرفه...

قد تظن أنني أكثرتك بكلامي عن والدي، ونسيت أن ما أكتب هو شروط موضوع لك لتكون
كمثل أبي، ولكن بكل شرط أجد فيه طبع أبي، وسمات أبي.

يا من لا تطوله السطور،

أقسم أن بداخلي شوقاً لرؤية رجل يشبه والدي، ولكن ليس كل أرحام النساء تستطيع أن تنجب
كوالدي؛ فوالدي من نوع آخر، لم أرَ كمثله إلا أنت، فكن كمثله.

وإن رأيت أنني أسرفت في ذكره،

فكن على ثقة أنني لو كتبت ألف كتاب وألف ديوان، لما أنصفت فضيلة من فضائله.

يا من لا أعرفه....

كل الديون تقضى إلا دين الوالدين؛

لأن والدي لم يجعل قلبي يشعر من خوف الدنيا. كان يقف بيني وبين كل أحزانها وصعوباتها،
كأنه الدرع الذي أحتمي به، والقلب الذي لا يبرأ من محبتي طوال الحياة،

واليد الدافئة التي لم تخجل من أن تلملم أحجار الدروب، لأسير دون أن أخدش بأي جرح.

يا من لا أعرفه...

هناك قصة لطيفة لا أتقبل محوها من ذاكرتي؛ قصة جمعت بين الرقي والحب، كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه:

"رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عند البعير، فيضع ركبته فتضع صفيه رجلها على ركبته فتركب"

يا من لا أعرفه...

قد تكلم الكاتب أدهم شرقاوي عن هذه القصة بكلمات فقال:

للأسف، نحن نأخذ مواقف النبي اعتقاداً لا سلوكاً، وكأن التعبير عن الحب عيباً، أو كأن إظهار اللطف منقصة وحرام.

قسونا حتى أصبح ما نراه من الغرب ملفتاً؛ إذا فتح أحدهم باباً لحبيبتة قلنا: يا للرومنسية! وتساءلنا: أين نحن من هذا الحب؟

قبل ألف وأربعمئة سنة، كان الحب أرقى وأجمل؛ جلس ونصب ركبته لتركب.

يا من لا أعرفه...

القسوة، والإعراض، والإهمال، والتكبر ليست من ديننا، ولكننا، ويا للأسف، نأخذ ما نريد ونترك ما نريد.

يا من لا أعرفه...

سيدنا محمد لم يخجل من مشاعره، بل عاشها بتفاصيلها، والمشاعر لا تقلل من قيمة أصحابها. فسيدنا محمد التجأ إلى خديجة، وهو أعظم وأقوى رجل في العالم، وقال لها "دثّريني، زميليني". كان يطلب منها الدفء، والشعور الصادق، والحضور الدائم.

بعد أن رأى جبريل، لم يلجأ لرجل قوي كمثله ليروي عليه القصة، بل التجأ لزوجته؛ لأنه يعلم ويثق تماماً أنها ستكون أول المصدقين، وكانت.

طلب منها حضوراً، وكانت حاضرة. طلب منها شعوراً، وأعطته شعوراً.

يا من لا أعرفه...

إن كنت سأقص عليك من قصص الوفاء، لطال الكلام وضاق المقام، ولكن سأكتفي بقول: حب النبي لخديجة. أحبها سرّاً وعلانية، وبر حبها بعد موتها. كان إذا أتى بهدية قال: اذهبوا إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة. إنها كانت تحب خديجة.

يا من لا أعرفه...

قبل الهجرة بثلاث سنوات، فقد النبي عمه أبو طالب وزوجته خديجة فسمي بعام الحزن؛ لأن النبي شعر بالوحدة والشدة والشوق إلى زوجته وعمه. سُمي عام الحزن لأنه حزن على فراق الحبيبة الأولى، أول من آمن وأول من صدّق، هي التي واسته بمالها حين حرّمه الناس، وكانت أما لأبنائه وحبيبة لقلبه.

يا من لا أعرفك...

المبادرة من صنيع الرجال

والاهتمام من صنيع الرجال

والتنازل من صنيع الرجال

والتسامح من صنيع الرجال

والاعتذار من شيم الرجال

وما الأنثى إلا وردة؛ إذا سقيتها كبرت وتفتحت، وإن أهملتها ذبلت وماتت وهي على قيد الحياة.

والوردة بطبيعتها لا تطلب الماء من أحد، ولكن المحب يسقيها بماء قلبه إن لم يجد لها ماءً كافياً.

والوردة، على قدر رقتها، محاطة بكَمٍّ من الأشواك؛ إن لم تستطع أن تتعامل مع الأشواك جرحتك، ولكن إن عرفت التعامل معها لعشت طول العمر متأملاً جمالها.

هكذا الأنثى؛ رقيقة كجناح فراشة، بل أرق، كوردة بيضاء في قلب المحب وفي قلب أبيها.

يا من لا أعرفه...

والد الأنثى إن طلبت وردة لزرع لها بستاناً من الورود، وإن طلبت قصيدة، لكتب دواوين من الشعر.

كل أب في هذا الوجود يعبر عن محبته بطريقته، فكن أنت الأب من الأب، كن أنت امتداداً لهذا الشعور، لا نهايته

يا من لا أعرفه...

لن أقل إن أبي كبر بسبب تجاعيده،

لأن كل تجعيده تحت العينين كانت لأجل أن أزداد راحة.

هذه عين أبي،

فيها تعب وكدح السنين،

ودعوات سقتني حتى شبيب، ورافقتني في كل خطوة.

كبرت، نعم، ولكن ما زلت طفلة في نظره.

كبرت، وكبرت معي تضحياته.

كبرت، وأيقنت أن والدي من أجمل النعم التي رزقت بها.

يا من لا أعرفه،

أنا في حضرت أبي لا أخاف،

ولا أخشى شيئاً، وأبوح بكلامي بالطريقة التي أحب.

يا من لا أعرفه...

الرجل الحقيقي ليس ذاك الذي أهابه، بل ذاك الذي لا أخاف، ولا يحضر بقلبي ذرة خوف في
حضرتة وقربه.

هو ذاك الذي أهرب إليه مني ومن الخوف.

احفظ أباك لو ابيضت ذوائبه
فلن تعوّضه يوماً إذا ذهب
ما اشتدّ عودك إلا بانحناءته
فكن له سنداً إن مال وانحدباً
وارفق بشيئته والزم مجالسه
واسمع نصيحته واخشع له أدباً
واخفض جناحك يا هذا بحضرته
لا تُعل صوتك أو تظهر له عتبا
لا تشك من تعب إن رحت تخدمه
وهو الذي كم هوى من أجلك التعبا
أبوك ذخرك فاحذر أن تضيعه
واذكر كلامي إذا يوماً تصير أبا
وارفع يديك إلى مولاك وادع له
فرض من الله للآباء قد وجبا

يا من لا أعرفه...

أعلم ان والدي لن يقرأ كلماتي، ولن تصل إليه هذه السطور،
لكنه يثق بأن كلماتي، وإن قلّت، قادرة على أن ترد شيئاً يسيراً من جميل فضله،
وأن تنصف شيئاً من ذلك الحب الذي غمرني به.

لكنني أتحسر عليك أنتِ، يا من قرأت كلماتي، فاغرورقت عيناك بالدمع؛ لأنك لم تري من طيف
أبيك حتى ظلّه، ولم تنالي من حضوره ما يكفي لتسكين هذا الحنين.

وأشعر بغصتك، وبكل الرضوض التي أحدثتها كلماتي في قلبك، فما كنتُ أقصد أن أوقظ وجعاً
دفيناً، ولا أن أضع الملح على جرحٍ لم يندمل.

ولكن يا قرّة العين، ربما كتبت سطوي اليوم لغاية أخرى...

ربما قرأها رجل، فاستقام لزوجته، وأدرك أن قلب المرأة يحتاج إلى كلمة حب، وحضن لا
يؤجّل.

وربما قرأها أب، فرأى أن ابنته أحقّ الناس بأن يظهر لها حبه، وأن يقول لها ما قد يظن أنها
تعرفه دون نطقه.

فإن كانت كلماتي قد أوجعت قلبك، فليتها، في المقابل، أيقظت قلباً آخر قبل فوات الأوان.

إن كان التراب قد وارى جسد أبيك، فلك أن تختاري من يكون أباً لك وزوجاً في آنٍ واحد،
رجل ترين في حضوره الأمان، وتجدين في عينيه ما افتقدته طويلاً، وعلمي أبناءك كيف يكون
الرجل الحقيقي؛ حنوناً حين تحتاجه الروح، سداً حين تميل الأيام،
وأماناً لا يطلب منك أن تبحثي عنه.

وإن كان أباك ما يزال حياً، يملأ المكان جسداً لكن روحه غائبة عنك، فاغفري له...
اغفري له،

لأنه لم يعرف كيف يحبك بالطريقة التي تتمنيها،
ولأنه لم ينتبه إلى تلك الطفلة التي كانت تختبئ خلف عينيك،
تنتظر منه حضناً، وكلمة، ويداً تربت على قلبها.
اغفري له،

لأنه لم يسقيك من ماء قلبه، لم يمنحك ما يكفي من الحب والاهتمام،
لأنه علمك أشياء كثيرة عن الحياة، إلا الشيء الذي كنت بأمس الحاجة إلى تعلمه: أن يكون
الأمان في عين أبيك.
اغفري له،

لأنه جعل الطفلة التي تسكنك ترى فيه وحشاً حين كانت تبحث عن أبيها،
وجعلك تسندين ظهرك إلى كل الجدران إلا ظهره.
اغفري له،

ليس لأن ما فعله كان صواباً، ولا لأن وجعك لم يكن حقيقاً، بل لأن بعض الآباء لا يعرفون
كيف يظهرون ذلك الحب، وبعض الجراح لا يلتئم إلا حين نتوقف عن انتظار الاعتذار
والاعذار من أصحابها.

واغفري لنفسك أيضاً... لأنك ظننت طويلاً أن الخلل فيك،
ولأنك بحثت عن محبته في كل شيء، في كلمة، وفي نظرة، وفي حضن تأخر،
وفي اهتمام لا يأت، ولم تجدي إلا الخيبة.

اغفري لنفسك لأنك قضيت عمراً تحاولين أن تثبتي أنك جديرة بالحب،
مع أنك تستحقينه منذ اللحظة الأولى...

قبل أن تتجحي، قبل أن تكبري، وقبل أن تعرفي كيف تطلبينه.
فأنت لم تكوني طفلة كثيرة الاحتياج، كنت فقط طفلة احتاجت أبيها... وكان يكفيها أن تجد الأمان
في عينيه.

ذاك الأمان الذ افتقدته في حضرة والدك أو حتى بوفاته،
ترك في روحك رضوضاً لا تستطيع الأيام أن تنكر آثارها،
وندوباً خفية لا يراها الناس، لكنها تسكن في أعماقك.
ولعلك لهذا تبحثين أحياناً عن مسكن لتلك الجراح،
في أشخاص لا يليقون برقة قلبك ولا بعمق احتياجك.
لكن تذكري أن ما أفسده غياب طويل، لن يصلحه رجل عابر، يهب شعوره لكل عابرة،
ثم يمضي تاركاً في القلب جرحاً آخر. أنت لا تحتاجين رجلاً يملأ فراغاً مؤقتاً،
بل تحتاجين رجلاً يعرف معنى الوصل، ويحسن الاحتواء،
ويعرف كيف يمنحك من الأمان ما افتقدته؛
فيكون لك أبا في حنانه، وأخاً في سنده، وزوجاً في مودته واحتوائه.
فأنت رقيقة كجناح فراشة، بل أرق،
وقلبك ليس قلباً عابراً يمنح لمن شاء ثم يترك على قارعة الطريق.
قلبك باقٍ عميق، ثمين، ويستحق رجلاً يدرك قيمته، ويحسن الوصول إليه،
ثم يعرف كيف يصونه كما تصان الأشياء النادرة؛ بحب صادق، ووفاء لا يتبدل،
وحضور لا يتركك وحيدة أمام مخاوفك.
لا تبحثي عن ينسبك وجعاً قديماً، بل عن لا يضيف إلى روحك وجعاً جديداً.
فبعض القلوب لا تحتاج إلى من يملأ فراغها،
بل إلى من يجعلها تشعر، للمرة الأولى، أنها في مكان آمن.

أنت لا تبحثين عن رجلٍ يعيد إلى قلبك الوجد الذي عرفته مع أبيك، ولا تفتشين عن تجربة تجعلك تتدوقين الحرمان مرتين. فقلبك أرق من أن يقضي عمره في مواجهة القسوة، وروحك أحق بأن تجد الأمان لا أن تورث جراحها من رجلٍ إلى رجلٍ آخر. فأحسني الاختيار.

إن كان الأب قدراً لم تختاريه، فالزوج اختياراً لك. لذلك، لا تتنازلي عن حقك في أن تُحبي وتُحترمي وتُصاني. وتدللي على قلبك، ولا ترضي بمن لا يشبه طمأنينتك، ولا يليق بوجودك، ولا يعرف كيف يحفظ ما استأمنه عليه.

ومنذ اللحظة الأولى، انظري بعين واعية؛ لا تغريك الكلمات، ولا تسكنك الوعود. فالكلام كثير، والوعود أطول، ولكن الأفعال وحدها تكشف حقيقة الإنسان. راقبي ما يفعل، لا ما يقول؛ فالفعل الصادق لا يحتاج إلى الكثير من الشرح، والوعود الذي لا يسندها فعل سرعان ما تصبح خيبة.

وإن كان حرمائك من حنان الأب قد جعلك أكثر عرضةً للبحث عن ذلك الحنان من أيِّ يد تمتد إليك، فاحذري... واحذري.... واحذري.

لا تجعللي احتياجك باباً يدخل منه من لا يستحقك، ولا تسمح لي لجوع القلب أن يجعلك تقبلين بمن يزيد جراحك جرحاً.

تذكري دائماً:

لا تحتاري لقلبك رجلاً يشبه أوجاعك، بل اختاري من يمنحك الأمان الذي افتقدته، والاحترام الذي تستحقينه، والحنان الذي لا يجعلك تخافين من الغد.

يا درة حفظت بالأمس غالية، واليوم يريدونها للهو واللعب.

في أحد المجالس، قال رجلٌ من الحاضرين: المرأة كالحذاء؛ أستطيع أن أغيرها وأبدلها حتى أجد المقاس المناسب.

ساد المجلس صمتٌ ثقيل، ثم التفت بعض الحاضرين إلى رجل حكيم، وسألوه عن رأيه فيما قيل. فابتسم الحكيم ورد قائلاً:

كلام الرجل صحيح تماماً، ولا شك في ذلك... فالمرأة كالحذاء في نظر من يرى نفسه قدماً، أما في نظر من يرى نفسه ملكاً، فهي تاج وجوهرة تصان، وقارورة أوصى بها رسول الله. ثم أضاف:

إن الإنسان لا يرى الناس كما هم تماماً، بل يراهم كما يرى نفسه.

فمن يراك أميرة، فاعلمي أنه تربى على يد ملكة، ومن يراك شيء يستعمل عند الحاجة ثم يستبدل، فقد كشف لك عن معدن نفسه قبل أن يكشف عن رأيه فيك.

فليس كل ما يقال عنك يصفك،

فبعض الكلام لا يكون مرآة لك، وإنما مرآة لقائله.

ومن اعتاد أن يقيس الناس بمنفعة عابرة، لن يرى في الجوهرة إلا ثمنها، ولا في الورد إلا وسيلة لزينة مجلسه.

أما من عرف قدر نفسه، وعرف قيمة من أمامه، فإنه لا يستبدل النفيس كلما رأى بريقاً عابراً؛ لأن النفائس لا تقاس بالمقاس، ولا تستعمل للهو، وإنما تصان لأنها نادرة.

النهاية...

ها قد أنهيت صفحتي، وأسدلت الستار على كل ما أردت أن أودعه في مجرة القراء من كلماتٍ وتجارب ورسائل.

وأملّي أن تكون حروفي بوصلةً لبعض التائهين، ونوراً خافتاً لمن أرهقه الطريق، ونافذةً يرى من خلالها ما عجز عن رؤيته في زحام الحياة.

وأقدم اعتذاري لكل أنثى قد تفتح كلماتي في قلبها جرحاً ظنّت أنها أغلقت أبوابه بعد عناء.

فلم تكن غايتي أن أنبش الجراح، ولا أن أعيد للألم صوته، وإنما أردت أن أقول: إن بعض الجراح، وإن كانت مؤلمة، تستحق أن تذكر؛ لا لتبقى جراحاً، بل لتتحول إلى دروس يتعلم منها الآخرون.

وبين دفتي الكتاب، حاولت أن أصل رسالة أؤمن أنها من أسمى ما يمكن أن يقال:

أن الرجل لا ينبغي أن يبحث في المرأة عن زوجة فحسب، بل عليه أن يعرف كيف يكون لها أماناً يشبه أمان أبيها، وحناناً يشبه حنانه، ودفء يشعرها أنها في بيتها لا في غربة

وإن كان والدها رجلاً لم يكن يوماً الصورة التي تمننت أن تجدها، فلا تجعلوا في ذلك نقصاً يرافقها إلى آخر العمر. بل كن أنت، الرجل، النسخة التي تمننت أن تجدها؛ كن الرجل الذي يعوضها عن قسوة ذاقتها، ويمنحها من الطمأنينة ما افتقدته، ومن الحنان ما حرمت منه، ومن الاحتواء ما جعلها تظن يوماً أن الحب رفاهية.

لا تكن امتداداً لجرحها، بل كن بدايةً لتعافيتها.

وعلموا أبناءكم أن البيوت لا تبنى بالجدران والأثاث وحدها، ولا بالمال والمظاهر، وإنما تبنى أولاً بالدين ثم بالمحبة، ثم بالرحمة، ثم بذلك الدفء الذي يجعل الإنسان يعود إلى بيته لأنه يعرف أن قلباً ينتظره فيه.

علموهم أن الزوجة ليست شيئاً يملك، ولا قلباً يختبر بالصبر، ولا روحاً تستنزف حتى تثبت الحب.

علموهم أن الرجولة ليست في القسوة، وأن الهيبة لا تحتاج إلى كسر قلب امرأة، وأن أجمل ما يمكن أن يتركه الرجل في حياة أنثى هو أن يجعلها تقول ذات يوم: لم أندم.

ولعل رسالتي كانت واضحة...

أن نخرج من تجاربنا أكثر رحمة، ومن جراحنا أكثر وعياً، وألا نكسر في بيوتنا كما كُسر في بيوت قبلنا، حتى لا يرث أبناءنا وجعاً لم يكن لهم ذنب في بدايته،

إلى من لا أعرفه...

إلى الرجل الذي لم ألتق به بعد،
ولا اعرف ملامحه، ولا صوته، ولا الطريق الذي سيقوده إلي...
أأمل أن تأخذ من أبي أجمل صفاته،
أن تتعلم منه الحنان الذي لا يطلب، والأمان الذي يشعر القلب بأنه في مأمن، والدفع الذي لا
يحتاج إلى الكثير من الكلام.
لكن لا تنس أن تكون أنت؛ بشخصك، وبصمتك، وبروحك التي لا تشبه أحداً.
لا أريد منك أن تكون نسخة من أبي،
بل أريد أن تكون الرجل الذي أطمئن إليه كما أطمئن لأبي.
هبني شعوراً يرافقتني مهما كبرت، بأنني مازلت تلك الطفلة المدللة التي لها في قلب من تحب
مكان لا يزاحمها عليه أحد.
فأنا، يا من لا أعرفه...
أكون مدللة في جوار أبي، ورقيقة أكثر مما تتوقع حين أكون في حضرته...
وأرجو حين يأتي يوم يغيب فيه أبي، أن يبقى أمانه حاضراً فيك.
أن تحمل عني شيئاً من ذلك الشعور الذي يتركه في قلبي، وأن تكون خير الناس، لا لأنك
تشبهه، بل لأنك اخترت أن تكون رجلاً يليق بقلب تربي على يديه.
لا أريد رجلاً يتصنع أمامي، ثم أكتشف وجهاً آخر خلف الأبواب.
لا أريد منك أن تكون أجمل نسخة، كي لا أصدم بحقيقتك وحدي.
فكن حقيقياً معي.
لا تتصنع شعوراً، ولا تتكلف حناناً، ولا ترتدي ثوباً ليس لك، فأنا لا أبحث عن رجلٍ يجيد تمثيل
الحب، بل عن رجل يكون الحب طبيعته.
وثق أن يدي، حين تمتد إليك، لن تكون قد عرفت يداً قبلك، فأنتق الله في يدي...
واتق الله في قلبٍ سيضع ثقته بين يديك.
لا تكن سبباً في أن أندم على تلك الثقة.
ولا تجعلني أشتاق يوماً إلى أمان وجدته في أبي ثم فقدته حين أصبحت معك

إن تهت يوماً في الطريق إلي، فاجعل كلماتي بوصلة لك.

اقرأ ما بين سطوري، لا ما بين حروفي فقط...

ستجد امرأة لا تطلب المستحيل،

بل تطلب قلباً صادقاً، ويداً أمينة، ورجلاً إذا وعد أوفى، وإذا أحب صان، وإذا اختلف لم يؤذ.

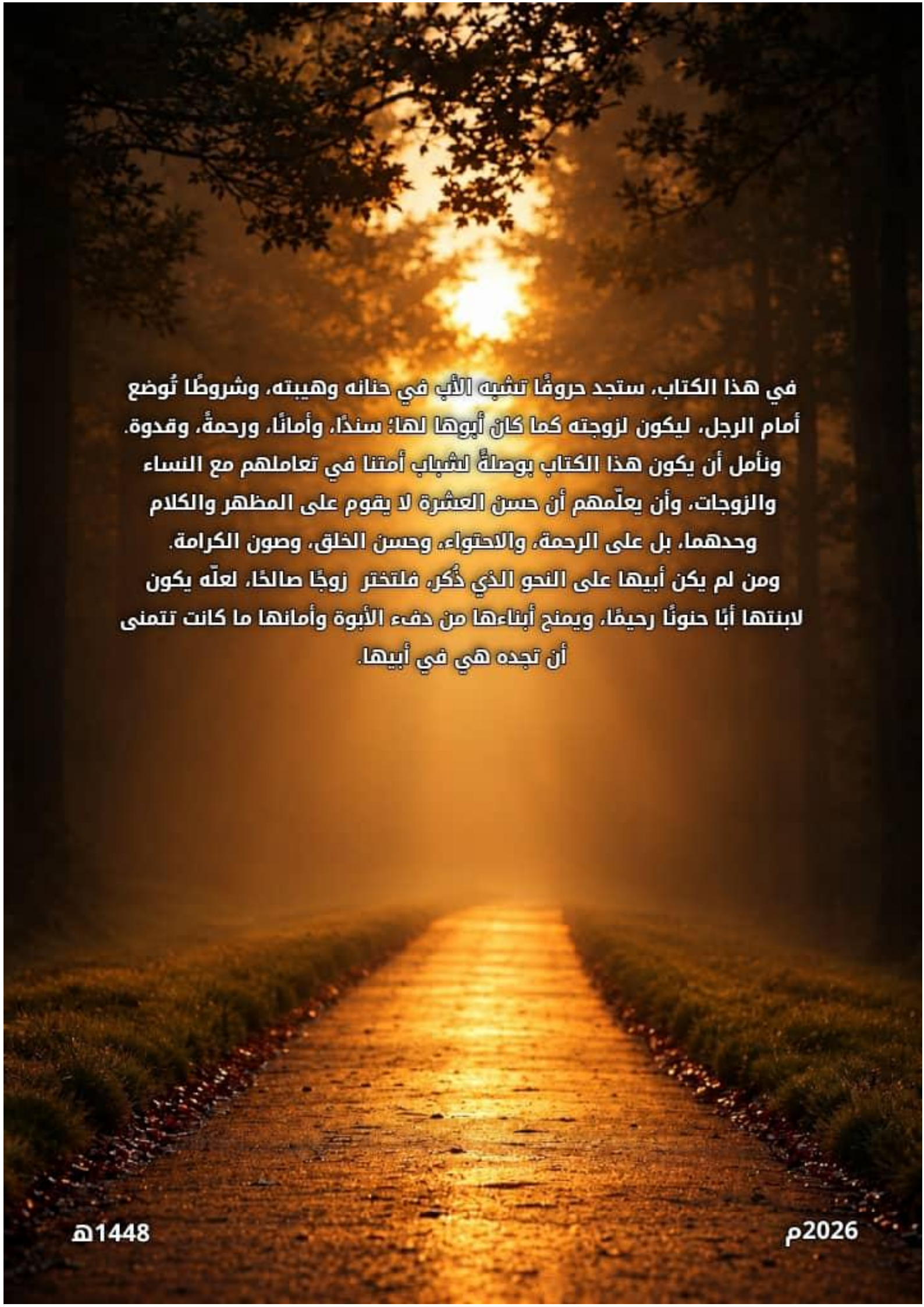
اقرأني جيداً...

فربما تجد بين سطوري الرجل الذي أرجوه، والرجل الذي تستطيع أن تكونه،

أريد أن تكون الرجل الذي حين أمسك يده، أشعر أن أمان أبي لم يرحل قط.

إلى كل من مرّ على سطوري،
ولا مست كلماتي شيئاً من قلبه؛ لا تنسوني من صالح دعواتكم،
فلعلّ دعوة صادقة في ظهر الغيب تبدّل حالاً، وتفتح باباً، وتضيء درباً.
أسأل الله أن يكتب لكم الخير، وأن يجعل دعواتكم نوراً لكم ولي.

إلى من صاغ في عيني الأمانا
أبي... من علم الدنيا الوفانا
أرى فيه الرجال كبار قدر
بصبر يملأ الكون احتضانا
وزوجي في غد يأتي بقلب
يسير بدرب من حمل الأمانا
يرى في والدي نوراً وهدياً
ويأخذ من شمائله البياننا
فيسأله: أعني كيف أغدو عظيماً، صادقاً، شهماً، مصاناً؟
وكيف أحوط غرسك في دلال وأمنحها المودة والحناننا ؟
فيعمل جاهداً في كل يوم
ليشبه من حمى قلبي صواننا
يقيس خطاه بخطى ليث غيور بنى بيتاً، وأكرم من رعاننا
غداً نمضي معاً، والروح تزهر
بمن حفظ الوصية والمكاننا



في هذا الكتاب، ستجد حروفاً تشبه الأب في حنائه وهيبته، وشروطاً تُوضع أمام الرجل، ليكون لزوجته كما كان أبوها لها؛ سنداً، وأماناً، ورحمةً، وقدوة. ونأمل أن يكون هذا الكتاب بوصلةً لشباب أمتنا في تعاملهم مع النساء والزوجات، وأن يعلمهم أن حسن العشرة لا يقوم على المظهر والكلام وحدهما، بل على الرحمة، والاحتواء، وحسن الخلق، وصون الكرامة. ومن لم يكن أبيها على النحو الذي ذكر، فليختَر زوجاً صالحاً، لعلّه يكون لابنتها أباً حنوناً رحيماً، ويمنح أبنائها من دفء الأبوة وأمانها ما كانت تتمنى أن تجده هي في أبيها.